

1178-مستر بكويكوتشارلز ديكنز، والنظام الديمقراطي الجديد

تعتة الوفد

النتيجة معروفة والحماس شديد، والكلام كثير، والمقالات أكثر، وعمنا الأمريكي الذي عين نفسه وصيا على الديمقراطيات القاصر واثق من حقيقه ما يجري، ومفوت بخاطره، والحكام الأعلى مسترحون جدا، والدنيا بخير فلماذا كل هذا الذي يجري بالله عليكم؟

جميع صنف مرشح يركز على مصالحه الشخصية، (ما عدا 13 فردا، أو 29 أو 38 خذ أي رقم حسب درجة سماحك، لن تفرق من 444 نائبا) ثم إنه قد يمتد اهتمامه إلى مصلحة أقاربه ثم مصلحة معارفه ثم مصلحة دائرته، أما مصلحة الوطن ككل وكيف سنصلح التعليم أو نعيد المدارس مدارس، والجامعات جامعات، والأمن أمناء، والحرية حقيقة، والاحترام واجب بين ناس مصر، فهذا الأمر لا يهم أغلب المرشحين، أما القلة من المرشحين الجادين المهتمين فهم يضيعون وسط المولد، ويهمدون بعد المولد من فرط الإحباط بعد الاستجابات"، فلماذا كل هذا؟

قلمي يرفض أن يكتب في هذا الموضوع ويعتبره تحصيل حاصل، ثم يجررنى إلى ذكريات طريفة، قلت أحسن: إنه العيد، وإذا به ذه الذكريات تتماشى مع كارثة التعليم، ثم لعبة الانتخابات، لا مانع.

كان ذلك سنة 1949: "مستر بكويك" هي الرواية الإنجليزية الفذة المقررة علينا في التوجيهية (الثانوية العامة) تأليف تشارلز ديكنز، مدرسنا في مدرسة مصر الجديدة الثانوية، "خواجة" إنجليزية الجنسية، والمدرسة حكومية متواضعة، والبلد محتلة، وهو لا يعرف العربية، لكنه كان يشرح لنا الرواية ببساطة إنجليزية جميلة، لغة واضحة، وكنا نفهم، كنت أفهمه تماما برغم أنني فلاح قادم من مدرسة زفتا الابتدائية، وظلت بعض لقطات الرواية ماثلة في ذهني حتى الآن (انظر بعد):

أنا لا أذكر اسم هذا الخواجة الإنجليزي برغم أنني أذكر اسم مدرس اللغة الفرنسية "مسيو لولو" (كان أيضا فرنسي الجنسية)، ذات صباح كنت قد تأخرت دقائق ودخلت الفصل

لاهثا، وكانت أول حصة لغة إنجليزية، سألني الوالد الخواجة بعد أن التقت أنفاسي، واعتذرت له، سألني وهو يرت على كفتي-وكنت أجلس في أول صف-عن سبب تأخري، قلت له: أني كنت أساعد عجوزاً ضعيف البصر على عبور الشارع فسألني: هل أنت من الكشافة؟ Are you a boy scout قلت له "لا"، قال لي من هو "الكشاف"؟ قلت له هو الذي يلتحق بفريق أو تنظيم الكشافة، وأنا تركت فريق الأشبال منذ تركت الابتدائي بزفتا، قال لي: "لا"، الكشاف هو الفتى الذي يعمل عملاً خيراً مفيداً لغيره كل صباح، أو كل يوم؟ ثم عاد المستر إلى الدرس عن رواية "مستر بكويك"، التي حضرني منها الآن ما له علاقة بانتخابات مجلس الشعب الجارية (تصور!!؟)، تساءلت الآن قبل أن تتوالى الصور: كم من الأعضاء المرشحين تشغله قضية ما آل إليه التعليم بالمقارنة بما ذكرته حالا؟ كم مدرس يفعل مثل هذا الخواجة مع تلميذه؟ وهل يشغل هذا الأمر أي مرشح هنا والآن؟ وإلا فلماذا يترشح؟

كانت الفقرة التي علينا قراءتها مع الأستاذ من الرواية هذا الصباح هي جولة مستر بكويك الانتخابية في مكان ما في إنجلترا، (واسم بكويك مشتق من لفظ pyknic الذي يطلق على الشخص "المستدير بدانة"، مثل صلاح جاهين رحمه الله) مستر بكويك هذا رجل خفيف الظل شديد التواضع وخاصة حين كان يحاول أن يتبسط مع الناخبين وهو أبسط منهم. مازلت أذكر منظره يتجسد أمامي وهو يقبل طفلاً على كتف أمه، وقد اقتربت منه الأم تطلب منه وعداً ما، فيحمل مستر بكويك الطفل منها، ويقبله، ولا أذكر إن كان الطفل قد بال عليه أم تناثرت عطسته على وجهه، ويعود هذا المنظر ماثلاً في وعيي وأنا أتابع الجولات الانتخابية الآن على كل المستويات، ويصلني الفرق أيضاً! أحاول أن ألاحق أعداد المتقدمين، وكمية المصاريف، والصور، والتراشق، والوعود، والدعايات، واللافات، وأسعار البلطجية، والإشاعات، والتصريحات، والحاجات، والاحتياجات، وتحتفي فرحتي بالذكرى ليحل محلها انقباض قابض، ويتصاعد الانقباض وأنا أتحسر على الوقت الضائع، والأمل المحبط مع سبق الإصرار والترصد، ولكن فجأة ينفرج صدري وأحب ناسي جداً، وأحترمهم، وأعذرهم.

هذا الشعب العظيم لا يئس أبداً، دع جانباً المرشحين وما آلت إليه الترضيات والتربيطات، لا أنكر أن من بين المرشحين عدداً من المتألمين لهذا البلد، الآملين في ناسه وهم مازالوا يتصورون أن هناك شيء اسمه ديمقراطية، وانتخابات، فهم يضحون وينزلون إلى الناس ويترشحون وهم يتصورون إمكان الأسهم في تحول سلمي حقيقي إلى ما هو أصلح باستعمال هذه الوسيلة المسماة "ديمقراطية" برغم يقينهم أنها مضرورية مسبقاً، كان الله في عونهم .

أما ما حدث فيما يسمى الحزب الوطني، فقد عرّى نفسه بسذاجة غريبة بتبني ما أسماه هنا: "النظام الديمقراطي الجديد: صنع بمصر، ورشة بئر سلم الوطني"، وذلك بتقديم آلية

جديدة تسمح بتعدد مرشحيه في الدائرة الواحدة، ما وصلني من هذه الخطوة الخائبة هي أنها بمثابة إعلان عن فشل هذا التجمهر الانتهازي المصنوع أن يصبح حزبا متماسكا له شكل ومبادئ محددة تسمح لأي من ينتمى إليه أن يمثله، تعدد المرشحين هكذا من نفس الحزب في الدائرة الواحدة هو إعلان صريح عن طبيعة هذا التجمع وهو أيضا نذير لمآله، فهو يتفكك من داخله، فيسارع الأفراد يدورون حول دائرة كراسي المجلس النيابية الموسيقية لكي يلحق الأضرر أن يقضم أكبر قطعة من "تورته" خير البلد لصالحه شخصيا، ونادرا للمقربين من أهل دائرته، أما أن هذا الشاطر يمثل حزبا له برنامج، وبالتالي فكل واحد فيه يمثل هذا البرنامج فهذا ما لم، ولا يحظر على بال أحد منهم برغم أنف الديمقراطية، ناهيك عن أن هذا المرشح يمثل وطنه وطموحات وطنه (يعنى ماذا؟).

حاولت، والله العظيم ثلاثا، أن أفسر الجارى بأى منطق سليم أو غير سليم، تقمصت المرشحين من الحزب الوطني ومن المستقلين ومن أحزاب المعارضة الأملية وأحزاب المعارضة الصورية وأحزاب المعارضة الورقية وأحزاب المعارضه الفعلية ولم أستطع أن أفهم أو حتى استشعر مشاعر أى منهم إلا نادرا، لماذا تنفق سيدة فاضلة (صوت الأمة 11/12) 250 ألف جنيه في الإعداد للترشح من الحزب الوطني ثم تستبعد فتحج أو تقاضى من استبعدها؟ نعم "ربع مليون جنيه": "فتح كلام"! وكيف تتمور هذه السيدة الفاضلة، (الثرية ربنا يبارك)، أنها سوف تسترد أموالها إذا ما نجحت، أم أن كل هذا الكرم هو للإسهام في إصلاح حال البلد؟ شكرا!!

ما هذا الذى يجرى بالضبط؟

ولماذا لم يقبل الحزب الوطني الانتخابات بالقائمة؟ أليس هذا أقرب للديمقراطية مقارنة بما يجرى الآن؟

ما الحكاية بالضبط؟

ما هذا الذى يجرى؟

أنها ديمقراطية معدلة آخر موديل، صنعت بمصر، مصانع الحزب الوطنى الخاص فى بنر سلم السياسة،

امتلات المساحة المقررة، ولم يبق إلا مساحة تتسع للخطوط العريضة لهذا النظام الديمقراطى الجديد: مجرد عناوين، حتى أعود، أو لا أعود، ولماذا أعود، وكل شيء موجود موجود! موجود! يا ولدى:

معالم النظام الديمقراطى الجديد

- 1) كلمة تحمل عكس معناها: (كلمات متقاطعة!): "المخطورة".
- 2) عدد المرشحين أهم من عدد الناخبين
- 3) كل واحد يرشح نفسه (قياسا على: كل واحد يدلع نفسه) حتى لو انتمى إلى حزب رسمى أو حكومى

4) برامج الأحزاب: على العين والرأس، أما برامج المعارضة فهي مع وقف التنفيذ بالقوة الجبرية، لكن برنامج ما يسمى الحزب الوطني، فمحظور تنفيذها لأنها صدرت غيابيا على الورق فقط، (في غياب الشعب).

5) مهمة المعارضة هي أن تعارض جدا، ويمكنها بعد الانتخابات أن تعارض أكثر.

6) التغيير مطلوب جدا جدا، ومقبول على شرط ضمان الاستقرار بعدم التغيير نهائياً.

7) يجتمل أن يرشح الحزب الوطني أكثر من مرشح لانتخابات الرئاسة، لو نفعت هذه البروفة.

وبعد

الحزب المذبذب، والدنيا شؤون،
لا تأمل في باكر، ما قدر يكون!

وبعد (أخرى):

لعن الله الخل الأسهل!!
لعن الله اليأس الأنذل!
والسلام عليكم، وكل عام وأنتم بخير
والله العظيم نحن نستأهل أفضل مما نحن فيه.
وسيحذث
(حاجصل!!).